خطب الحوراء زينب الكبرى

الى المرأة التي عبثت بها الاقدار ، وطوحت بها نوائب الايام . الى المرأة التي تتخبط في دياجير الظلام وحالك الجهل ، وتتهكم في سبل الحياة ضالة غير مستهدفة ، اليك ايتها المرأة التي تاوهت الزمن وضربت عليك الامية بحناقها وقضى على مواهبك هذا المجتمع المضطرب فاصبحت عالة عليه وعضواً أشلا في جسمه

اليك ايتها المرأة نسوق خطب العقيلة زينب الكبرى بنت امير المؤمنين «ع» لتأخذي منها العبرة والموعظة الحسنة فهي المثل الاعلى للمرأة العربية وكلامها المثل الأعلى للبلاغة النسائية ، كما هي المقياس الذي تأخذين على ضوئه معرفة الحياة والايمان بالحق والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة التي ولدها لك الدين الحنيف يوم ان كنت العوبة بايدي الوحوش الكاسرة الظالمين واليك الخطب الثلاث :

البيان

١ — الخطبة التي القتها الحوراء بالكوفة على الجماهير :

الحمد لله والصلوة على محمد واله الطيبين الاخيار ، اما بعد يا اهل الكوفة يا أهل الختر (١) والغدر اتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون ايمانكم دَخلا (٢) بينكم الا وهل فيكم الا الصلف (٣) والنطف (٤) والكذب والشنف (٥) وملق الاماء ، وغمز الاعداء ، او كمرعى على دمنه (٦) او كفضة على ملحوده ، الا ساء ما قدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون ، اتبكون وتنتحبون ، اي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلا ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترخصوها بغسل بعدها ابداً ، وانى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتكم ، ومدره سنتكم ، الا ساء ما تزرون ، وبعداً وسحقاً ، فلقد خاب السعى ، وتبت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم يا اهل الكوفة . اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم . واي كريمة له ابرزتم . واي دم له سفكتم . واي حرمة له له انتهكتم . ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء (٧) سوداء فقماء. خرقاء شوهاء . كطلاع (٨) الارض . او ملاء السماء .

(١) الختر بالتحريك الغدر والخديعة او اقبح الاعذار

(٢) اي خيانة ومكراً (٣) الصلف الادعاء تكبراً (٤) النطف التلطخ بالعيب (٥) الشنف بالتحريك البغض والتنكر (٦) الدمنه : ما تدمنه الابل والغنم بابوالها وابعارها (٧) الصلعاء الداهية . وما بعدها صفات لها في القبح والشدة «٨» طلاع الارض ملؤها.

وان حرمة القرآن قد هتكت فكانت المرأة بهذا كقنبلة وضعت في اساس الدولة الاموية فانفجرت وهدمت ذلك البناء الذى قام على اساس البغي .

هذا ما كان من امر المرأة في واقعة الطف ، ولاعجب في ذلك لان ! لحسين عليه السلام لم يبخسها حقها في حياته ، اذ نادى بفضلها وشجعها على مزاولة الادب والعرفان . وان عنايته بابنته سكينة وزوجه الرباب لخير دليل على ما اقول . فهو الذي كان يقول :

لعمرك انني لاحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب

احبها وابذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

هذه هي المرأة العربية في الصدر الاول من الاسلام ، وهذه هي المرأة في ايام مولانا الحسين ، وهذا موقفها المشرف من النهضة الحسينية المجيدة ، وعلى هذا النمط نرجو من المولى ان يوفقها الى خدمة الدين الاسلامي الذي ضحى من اجله الحسين بدمه وباصحابه ، والسلام عليكم .

النجف الاشرف — بسيمة نوري الجلبي

أفعجبتم ان مطرت السماء دما . ولعذاب الاخرة اخزى وانتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهل. فانه لا يحفزه(١) البدار . ولا يخاف فوت الثار . وان ربكم لبالمرصاد .

فذهل الناس وحسبوا ان الامام امير المؤمنين يخطبهم فلقد صعق الكبير والصغير . رواها الجاحظ في البيان والتبيين عن خزيمة الاسدي . وابو الفضل احمد ابن ابي طاهر طيفور في كتابه (بلاغات النساء) . وابو المؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي في الجزء الثاني من (مقتل الحسين) والطوسي في أماليه .

٢ — الخطبة التي القتها في مجلس العلج عبيد الله ابن زياد . وقد قلبت فيها الوضع عليه فكانت كقنابل صارخة على رأسه المحطم. بعد ان ابتدأها بقوله: الحمد لله الذي فضحكم واكذب احدوثتكم .

قالت عليها السلام : انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا . فقال : كيف رأيت صنع الله باخيك واهل بيتك . فقالت : ما رأيت الا خيراً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يا ابن مرجانة .

فغضب الذل وهم ان يضربها . فقال له عمرو بن حريث انها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ؛ فقال ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك . فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي . وقطعت فرعي . واجتثثت اصلي فان كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت .

رواها السيد ابن طاووس وفريق من مؤرخي (مقتل الحسين) .

٣ — الخطبة التي القتها بمجلس يزيد الخنا بالشام :

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على رسوله وآله اجمعين صدق الله سبحانه حيث يقول : (ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوء ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) . اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء . فاصبحنا نساق كما تساق الاسراء ان بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة . وان ذلك لعظم خطرك عنده . فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك تضرب اصدريك (١) فرحا . وتنفض مذوريك مرحا . جذلان مسروراً . حين رأيت الدنيا لك مستوسقة (٢) والامور متسقة وحين صفى لك ملكنا وسلطاننا . فمهلا مهلا انسيت قول الله تعالى (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) أمن العدل يا بن الطلقاء (٣) تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن. وابديت وجوههن . تحدو بهن الاعداء من بلد الى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل . ويتصفح وجوههن القريب والبعيد . والدني والشريف . ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي . وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه اكباد الاذكياء . ونبت لحمه من دماء الشهداء . وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن . والاحن والاضغان . ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا ابي عبدالله سيد شباب اهل الجنة تنكتها بمخصرتك (٤) وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت

(١) الحفز الحث والاعجال .

(١) اصدريك : اي منكبيك . وتنفض مذوريك . المذوران جانبا الاليتين ولا واحد لهما . وقيل هما طرفا كل شيء . يقال جاء فلان ينفض مذوريه اذا جاء باغياً يتهدد، وكذلك اذا جاء فارغا في غير شغل . (٢) مستوسقة اي مجتمعة . ومتسقة اي منتظمة (٣) الطلقاء : ابو سفيان ومعاوية وبقية الامويين الذين اطلقهم رسول الله (ص) يوم الفتح فقال اذهبوا فانتم الطلقاء . وبهذا صاروا عبيداً لرسول الله وذريتهم ما بقي الاسلام .

«٤» المخصرة بكسر الميم كالسوط . وكلما اختصره الانسان بيده فامسكه من عصى ونحوها . وكانت الخلفاء تحمل هذه المخصرة .

القرحة «١» واستأصلت الشأفة «٢» باراقتك دماء ذرية محمد «ص» ونجوم الارض من آل عبد المطلب . وتهتف باشياخك زعمت انك تناديهم فلترد وشيكا «٣» موردهم . ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت . اللهم خذ لنا بحقنا . وانتقم ممن ظلمنا . واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا . فو الله يا يزيد ما فريت «٤» الا جلدك . ولا حززت إلا لحمك . ولتردن على رسول الله بما تحملت من دماء ذريته . وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته . حيث يجمع الله تعالى شملهم . ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون» . وحسبك بالله حاكما وبمحمد «ص» خصيما وبجبرائيل ظهيراً . وسيعلم من سول لك وامكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا وايكم شر مكاناً واضعف جنداً . ولئن جرت على الدواهي «٥» مخاطبتك . اني لأستصغر قدرك . واستعظم تقريعك . واستكثر توبيخك . لكن العيون عبرى . والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء . فهذه الايد تنطف «٦» من دمائنا . والافواه تتحلب «٧» من لحومنا . وتلك

«١» نكأت القرحة بالهمزة من باب منع كثر جراحها «٢» استأصلت الشافة : استأصل الشيء اذا قطعه من اصله قال في القاموس الشافه قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى وتذهب . واذا قطعت مات صاحبها . والاصل استأصل الله شافته اذهبه كما تذهب تلك القرحة او ازالة من اصله «٣» وشيكا اي سريعاً «٤» الفري القطع «٥» الدواهي جمع داهية وهي النازلة بالانسان من بلاء وغيره ومخاطبتك اما بارفع فاعل جرت اي ان اوقعت مخاطبتك على النوازل فلست ابالي بك ولا اعظم قدرك . او بالنصب مفعول والفاعل الدواهي اي ان اوقعتني دواهي الزمان الى الاحتياج لمخاطبتك فلست معظمة قدرك «٦» تنطف بكسر الطاء وضمها اي تقطر «٧» في القاموس تحلب عينه وفوه اي سالا

الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل «١» وتعفرها امهات الفراعل «٢» ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما حين لا تجد الا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد والى الله المشتكى . وعليه المعول . فكد كيدك . واسع سعيك . وناصب جهدك . فو الله لا تمحو ذكرنا . ولا تميت وحينا . ولا تدرك امدنا . ولا تدحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند «٣» وايامك إلا عدد . وجمعك إلا بدد . يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين . فالحمد لله رب العالمين . الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة . ولآخرنا بالشهادة والرحمة . ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب . ويوجب لهم المزيد . ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

رواها احمد بن ابي طاهر طيفور في كتابه « بلاغات النساء » والخوارزمي في مقتله وجمع من المؤرخين . ومن هذه الخطب نستنتج المغزى العظيم الذي رمى اليه الامام الحسين والفلسفة التي برهن عليها موقفه في حمله عائلته معه الى سوح الجهاد لتتم من بعده اداء الرسالة الانسانية وتحقق له عدوان الطغاة والمستبدين من آل امية وتقضي على تلك الجرائم التي فتكت في روح الحقيقة فغيرت مجاريها الى ميول وعواطف . وان موقف السيدة زينب قد لا يقل اهمية عن موقفه عليه السلام وتضحيته فقد برهنت في ذلك الوقت وللاجيال من بعدها عبث القوم بالشريعة الاسلامية وبحقوق الناس . وختاما اقول لتقتدي المرأة العربية بهذه العقيلة ولتتحلى بصفاتها العالية وثباتها الذي حاز على الرقم القياسي ولا بدع فهي ابنة علي وعقيلة آل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

« البيان »

«١» العواسل الذئاب السريعة العدو «٢» امهات الفراعل الضباع جمع فرعل وهو ولد الضبع والتصغير معلوم .
«٣» الفند : الكذب . وهو بالتحريك « قيل » ويقال الضعيف الرأي الفند ايضاً .